تقديم

لتكن قضية فلسطين مبعث قلق للضمير العالمي... وعلينا أن نستخدم كل السبل الأدبية والفنيّة والسياسية والدفاعية كي تبقى القضية شعلة مضيئة تذكر الرأي العام الدولي بأبشع جريمة ارتكبت في التاريخ الحديث...

وأبراز الأديبة السيدة روضة الفرخ الهدهد لبطولات رجال عاهدوا الله ووفوا بالعهد. واهتمامها بوضع سيرة هؤلاء الأبطال في أسلوب قصصي للأطفال،فيه توعية مُشَوّقة لجيل جديد من حقه علينا أن يعرف هذا الجانب من تاريخ بلاده.

ولقد أبرزت هذه الأقصوصة الهادفة بأسلوبها المبسط المفهوم،أنه رغم تفوق الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية على هؤلاء الرجال عددا وعدة فقد انطلقت منهم بطولات خارقة وأعمال ضخمة واستطاعت هذه القلة من الرجال القيام بالمعجزات لأن المصائب تصهر الرجال وتخلق العزم فيهم وتقوي الارادة.

احسنت السيدة روضة بنشر قصص هؤلاء الناس الذين رووا ثرى فلسطين بدمهم لأن في هذا العمل الخيّر ابراز لصفحات تكاد تكون منسيّة من حقبة هامة من تاريخ فلسطين. وفي هذا العمل أيضا وفاء لأرواح شهداء من نوع جديد ...

تذكر هذه الأقصوصة لنا وتذكُرنا بأن لا اقليمية في الجهاد، وأن عددا من الشباب والشيوخ الذين جاءوا من أطراف الوطن العربي الكبير شاركوا في الكفاح ضد قوى الاستعمار دونما تقاعس أو هوادة. لم يذعنوا ولم يهنوا ولم يساوموا ولم يستسلموا،ذلك لقناعتهم أن الحق يؤخذ ولا يُستجدى.

هذه الصفحات الخالدة في تاريخ القضية الفلسطينية في الثلاثينيات وبعدها،سُطِّرت في وقت كان الوطن العربي كله تقريبا يرزح تحت نير الاستعمار ويعاني من الأعمال التعسفية البريطانية والصهيونية ، ومن سوء الحالة الاقتصادية خلافا لما هو وضع العرب عليه الآن حيث المال والقوة والاستقلال والامكانات الهائلة. ومن حق الكاتبة أن تذكُرنا وتذكّر أطفالنا بهذه البطولات في وقت زادت فيه غطرسة اسرائيل وتحدياتها وصلفها الأمر الذي يتطلب منا العمل بارادة لا تعرف الملل ووعي وتضحيات ... فالوعي والعمل البنّاء والجهاد هي سبيل الخلاص ، وجيل المستقبل هو أملنا الكبير في تحقيق ما تتطلع اليه جماهيرنا العربية..

دكتور محمد الفرا
الأمين العام المساعد
في جامعة الدول العربيّة

حكايات بطولية للأطفال (٣)

قافلة الفداء

محمد حمد الخنيطي
و
سرور برهم

بطلان حاربا معاً، واستشهدا معاً، فحق أن يكتب عنهما سوياً

المؤلفة:
روضة الفرخ الهدهد

رسوم وألوان:
عبد الرؤوف شمعون

الإهداء :

إلى سُجناء نفحة
المضربين عن الطعام ...

تموتون بهدوء ...
ونحن عنكم لاهون ...

حمد الخنيطي والد البطل محمد
مع أم محمد في قرية أبو علندا.

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد حمد الخنيطي

﴿١﴾

تجمّع أهلُ ابو علندا من البدو والعُربان ليروا هذا الغريبَ القادمَ اليهم ... أوقفَ هذا الغريبُ حصانَهُ ونزلَ عنه وسأل البدو: «وين كبيرَ العشيرةِ؟ وين حمد بَخيت الخنيطي»؟

وانفلت عشراتٌ من الصبيةِ يركضونَ تجاه خيمةِ حمد السوداء ... وصاحوا ينادونَه ... وحضرَ حمد متسائلاً ... ما الخبر..؟

قال الكرديُّ الغريبُ القادمُ:

- «أنا مندوبُ الحكومةِ التركيةِ ... جئتُ لك يا كبيرَ العشيرةِ والقومِ كي أبلغك قرارَ تعيينك مندوباً عن الحكومة لدى مضاربِ أهل البدو ... تجمع الاموالَ من العربانِ وتحضرُها لي في مركزِ الحكومةِ في السلط ...»

ويعودُ الكرديُّ الغريبُ الى مركزِ حكومتِهِ بعد أن يقومَ كبيرُ العشيرةِ بتقديمِ واجباتِ الضيافةِ له ... وبعد أيامٍ يذهبُ حمد الى «السلط» لدفعِ الأموال التي جمعها من العربان ...

وتمرّ الأيام وتتكررُ الزياراتُ وتنشأُ علاقةُ صداقةٍ بين الرجلين ، ويرى حمد ابنةَ الوالي الكردي فيقعُ في حبها ويطلبُها من والدها:

-«أريدُ أن أتزوجَ ابنتك ... فهل توافق ...؟»

- «أنا؟ ... أوافق طبعاً ... ولكن ابنتي لا توافقُ على العيشِ في بيوتِ الشعر.. ولا تسكنُ الخيمةَ السوداء ...»

ويعود حمد ... وخيالُ ابنةُ الوالي لا يفارقُه ويقول لنفسه: « سأبني لها بيتاً من اللَبِن ... واجعلُه هنا بين

الجندي «التركي» يضرب أبي محمد «العربي» محاولا اهانته.

بيوتِ الشعرِ هذه ... فيكونُ أولَ بيتٍ لأولِ عروسٍ كردية ... يجب أن أتزوجَها ...»

ويتزوجُ كبيرُ العشيرةِ «حمد بخيت الحنيطي» ابنةَ الوالي الكردي ، وتحضرُ لتسكنَ البيتَ الذي بناهُ لها وتنجبَ له أربعَ بناتٍ وولداً يسميانه محمداً ... وهنا ينشأُ بطلنا محمد ... بين مضاربِ عشيرتِه وقومِه ... في باديةِ الأردن قرب عمان ... في قريةِ أبو علندا ...

يجلسُ ابو محمد يحدثُ زوجتَه:

- «إنني في حيرةٍ من أمري يا أم محمد ... الجنودُ الأتراك يوجهون الاهاناتِ والذلَ للعربِ في مضاربهم ... إنهم يحضرون لطلبِ المؤونةِ والأكل من الناس ... ويضربونَهم بالسياطِ وأعقابِ البنادق وينهبون مواشيهم!»

ويدقُ البابَ طابورُ الجيش التركي يطلبونَ الخبزَ والأكلَ كعادتِهم ... وينزلُ حمد لرؤيةِ من بالباب ... واذا بالجندي يضربُهُ بالسوط ... كيف يضربُهُ؟ ألا يعلمُ أنه موظفُ دولةٍ كبير؟ ... الا يعرفُ أنه كريمٌ مضيافُ لو طلبَ منه وجبةَ طعامِهِ هو ، لأعطاهُ اياها؟ ... فلماذا يضربُهُ؟ ...

تثورُ نفس أبي محمدٍ وينطلقُ الى فرسهِ «الصدّية» يسابقُ بها الريحَ ليصلَ الى الوالي التركي ... ولكن الجنودَ يلمحون الوسامَ الذي يعلّقهُ حمد على صدرهِ وقد ظهرَ من تحتِ العباءةِ ... فيَعرفونَ أيَّ خطأٍ ارتكبوه ... وأيُّ مصيبةٍ ستقعُ عليهم فيلحقونَ به يطلبونَ الغفران والصلح ...

- «هو ذنبنا ونحن نتوب إليك فلا تشكُنا للوالي» ...

- «نرجوكَ ... لك ما تريد، اصفح عنا» ...

ولكن الحوادثَ تتكرر ... والشخصياتِ تتغير ... والنقمةَ تتزايد ... الجميع يؤمنون بالثورةِ ضد

الأتراك وحكمَ الأتراك ... والفرصةُ تلوحُ للتخلُّصِ من المستعمِرِ التركي بالاشتراك مع الثورة العربية الكبرى ضدَّ الجيوشِ التركيةِ في الحربِ العالميةِ الأولى ...

﴿٢﴾

تقفُ أم محمد مع ابنِها محمد في «الحوش» وتقول:

- «سيأخذُكَ عمُّك اليوم ، ليعلِّمَكَ ركوبَ الخيلِ ... ستركبُ فرسَ أبيكَ الصدية ...»

- «وما الصديةُ يا أمي ...»

- «إنها الفرسُ التي يميلُ لونُها بينَ الأسودِ والسكني ... لونٌ جميلٌ يلمعُ لمعاناً تحت أشعةِ الشمسِ ... والخطُّ الأبيضُ الجميلُ يزيِّنُ وجهها وما بينَ عينيها ...»

ينشأُ محمد مغرماً بالخيولِ وركوبِها ... والانطلاقِ بها انطلاقاً يملأُ صدرهُ بشعورِ الحريةِ الجميل ... ولكن محمداً يجبُ أن يلتحقَ بالمدرسةِ وليسَ في «أبو علندا» مدارس ، بل

نشأ محمد مغرماً بركوب الخيل وها هو عمه يدرّبه على ركوب فرسُ أبيه

وليس في عمان سوى مدرستين فتقول أم محمد لابنها:

- «ستذهبُ لعمان يا محمد ، وستعيشُ عند بعضِ الأقاربِ هناك لتدرسَ في مدرسةِ الساحةِ ... ساحةِ الجامع الحسيني الكبير ... وفي الاجازاتِ تحضرُ لزيارتنا ...»

وفي المدرسةِ تبدأ علاقةُ محمد القوية بدروسِ التاريخ ... ومن مجالسِ أهلهِ تبدأُ كراهيتُهُ للاستعمارِ بشتى صورهِ ... التركي ... الانجليزي ... الفرنسي ...

لقد ولدَ محمد وقد جلا الاستعمارُ التركيُّ عن الأرضِ العربيةِ ... ولدَ عام ١٩٢٠ .. ولكنَّهُ الآنَ يرى الاستعمارَ الانجليزيَ في بلدِهِ ...

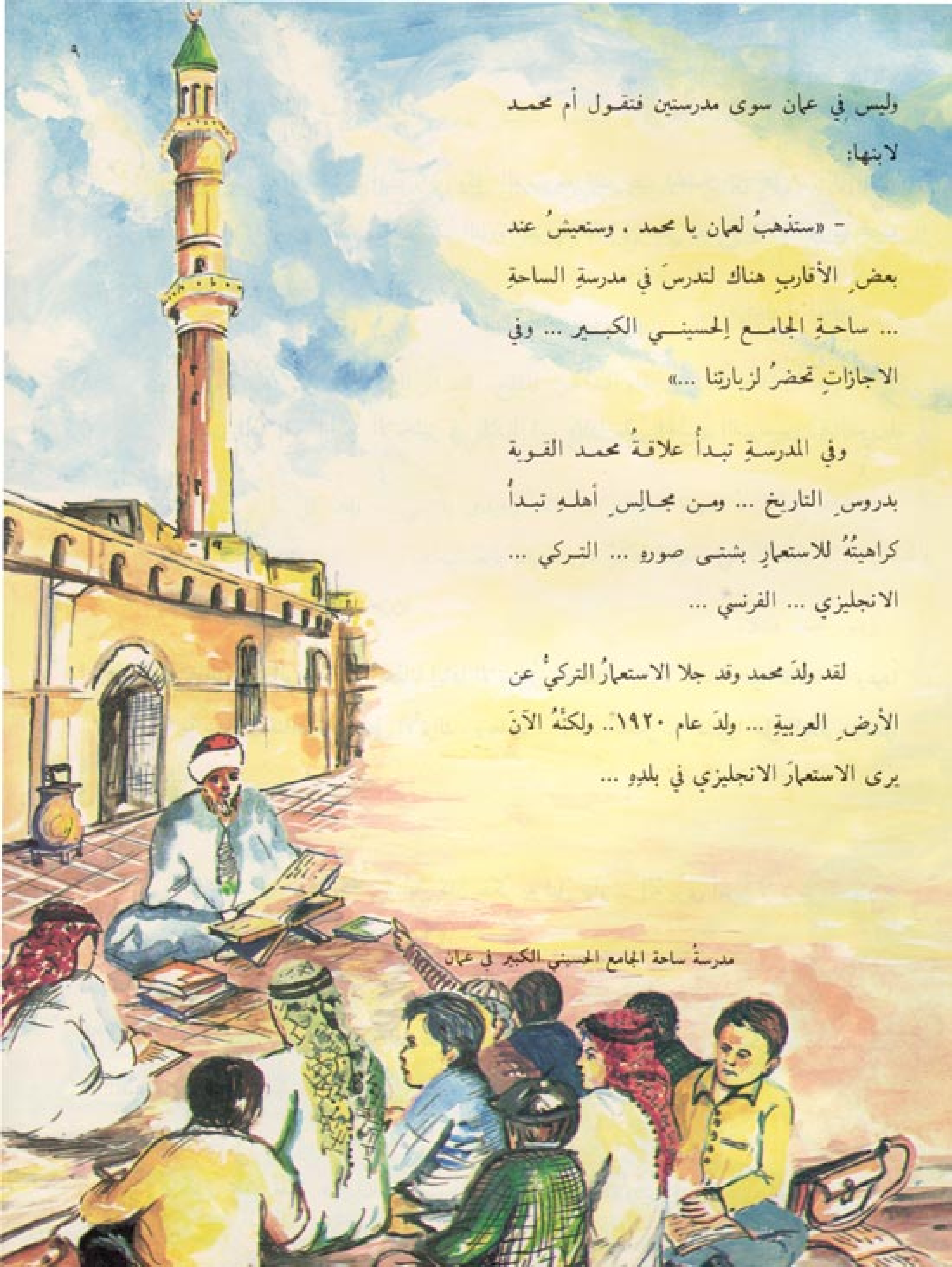

مدرسةُ ساحة الجامع الحسيني الكبير في عمان

يلحقُ الفتى محمد عمَّه ويسأله:

- «يا عمي ، ألم تحارب أنتَ وأبي وكلُّ العربِ مع الشريفِ الحسين بن علي ... كي تنالَ حريتنا ونطردَ الاتراكَ من البلاد ... ألمْ تقمْ الثورةُ العربيةُ الكبرى حتى تصبحَ بلادُنا العربيةُ تحت حكم العربِ أنفسِهم ؟...»

- بلى يا بني ...

- «إذن لماذا بقي الجنودُ الانجليز فيُ بلادنا ؟... ولماذا بقيَ الجنودُ الفرنسيون في سوريا ولبنان ؟...»

وَيُطْرِقُ العمُّ وهو يجيب بحزن:

- «ذلك لأن الوعودَ التي أعطانا إياها الانجليزُ باستقلالِ بلادِنا كانت وعوداً كاذبة ... وعوداً نالوا بها ما يريدون فناصرناهم على الأتراك.. وبعدها ... وبعدَ النصرِ ... استولوا على البلادِ ورفضوا تركَها ...»

وفكَّرَ محمد ملياً بهذا الكلام ... بل كانَ يفكرُ بهِ ليلَ نهار ... إنَّهُ يرى أموراً لا يرضى عنها ... ولكنه لا يستطيعُ التغيير ... فكيف يبدأ ؟.

ويقول محمد لنفسه: «نعم، الطريقةُ لتحريرِ بلادي تبدأُ بالتدريبِ العسكريْ.. والتدريبُ العسكريُ يبدأُ من الجيش.. وسأدخُلُ الجيشّ الاردني ...»

ويقولُ محمد لعمِّه: «قررتُ يا عمي أن أنضمَّ للجيشِ الأردني فهو المكانُ الوحيدُ للانطلاقِ

وتحريرِ البلاد ... وعلى أبناءِ الوطنِ أن ينضمّوا للجيشِ ويرفعوا من شأنِهِ ...»

وفي أولُ اجازةٍ لهُ من التدريبِ، يعودُ محمد الى بيتِهِ مسرعاً طالباً من والدتِهِ بعضاً من الماء الساخنِ والملحِ في طشت ... وتستغربُ الامُ وتسأل:

- «ولماذا يا ولدي»؟...

- «أريدُ أن أضعَ قدميّ في الماءِ الساخنِ والملح.. لقد أثّر التدريبُ وحذاءُ الجنديّةِ «الصبّاط» في قدمي تأثيراً كبيراً ... أحسُّ اللحمَ يتسلخُ بين أصابعي!»

- «ومع هذا تريدُ العودةَ للجيش ؟... إنك وحيدي يا بني ... ولكَ كلُّ ما تريدُ من المالِ والدلالِ ... لا ينقصُكَ شيء فلماذا تحكمُ على نفسِك بالعذابِ؟»

ويثور محمد قائلاً:

محمد في أول اجازة له
وقد أثر التدريب الشاق على قدميه.

- «أتسمينَ هذا عذاباً يا أمّاهُ ؟... أبسببِ بعضِ الألمِ والضّيقِ في قدمي ، تطلبينَ مني أن أتركَ الجيش ؟... فكيف بالضّيقِ الذي يُعاني منهُ بلدي وأبناءُ قومي.. من سيرفعهُ عنهم ؟...»

كان محمد الحنيطي مؤمناً بعروبته ، انه ليس أردنياً أو فلسطيناً أو سورياً ... إنه عربي ، وعربي صميم ... وسيحمي الأرضَ العربيةَ كلها ...

ولكنْ من كانَ يا ترى قائدُ الجيشِ العربيِّ الأردني في ذلك الوقت ؟... أتدرون؟. إنه «كلوب باشا»(١) قائد انجليزي يحكُمُ الجيشَ العربي الأردني بأكمِلِه ...

يتدرّجُ محمد في الرتبِ العسكرية ، ثمَّ يتدربُ في مصرَ في الكليةِ الحربيةِ بالقاهرَةِ ويعودُ ليصبحَ ضابطاً في الجيشِ الاردنــيِ في مركزٍ للجيش في حيفا في فلسطين.

محمد حمد الحنيطي وقد أصبح ضابطاً في الجيش العربي الأردني

«١» كلوب باشا: قائد الجيش العربي الأردني، طرده جلالة الملك حسين في عام ١٩٥٦م.

هناك في حيفا وفي فلسطين كان البطل «سرور برهم» ... شابٌ رائعٌ ... يفيضُ حماسةً وغيرةً على وطنِهِ. تدرَّبَ على حملِ السِّلاحِ وانضمَّ الى قواتِ الثورةِ التي نظّمهاعزالدين القسام ... وقد اجتمع اليومَ مع رفاقِهِ وقرروا:

- «سنهجم الليلة على المستعمرةِ القريبةِ من وادي الملح ... نأخذُ أسلحتنا ونتسلّلُ كلٌّ من منزلِهِ في الظلام منفردين ، ونلتقي الساعةَ التاسعةَ قربَ المستعمرةِ وعندها نقومُ بالهجومِ مرةً واحدةً ... وبعدَ النجاحِ بإذنِ اللهِ في القضاءِ على الحرّاسِ ... نختفي عن الأنظارِ، ونعودُ فرادى ، واحداً واحداً كلٌّ الى بيتِهِ».

سرور برهم مع رفاقه يخططون لنسف انابيب البترول.

وبعد أيام يعود «سرور برهم» للقاءِ اصدقائِه سراً ويقرروا:

- «هذه الليلةَ سنهجم على بيارات اليهود ... لقد استولوا على بياراتِنا ، وطردوا منها أهلَنا العرب الفلاحين ، وسيكونُ هدفُنا حرق ماتورات الماءِ فيها. كلُّ اثنين سيهاجمان بيارةً ينسفـان ماتورات الماء. ويحطمان أعمدة الهاتف.»

وينطلقُ كلٌّ ليقومَ بمهمتِهِ ، وليعودَ للاجتماعِ بالقائدِ «سرور برهم» بعدَ أيام ...

- «أما اليوم فسوفَ نقومُ بعمليةٍ جريئةٍ ... سيقومُ ثلاثةٌ منا بارتداءِ ملابسِ حرّاس السكةِ الحديدِ ... وسيساعدُنا الحارسُ العربيُّ الموجودُ هناكَ ... إنه شابٌ من قريةِ «عصيرة الشمالية» قريةُ البطولةِ والشجاعةِ.

نهجمُ أولاً على الحرّاسِ ، نقضي عليهم، بينما يتحركُ الثوارُ الذين يلبسونَ ملابسَ الحرّاس ويتوزعونَ لزراعةِ الألغامِ تحتَ قضبانِ السكةِ الحديد».

ينجحُ الثوار ... وينسفونَ القطارَ العسكريَّ الذي يحملُ الجنودَ الانجليز جنوبَ حيفـا ... وينجحونَ في قتلِ الحراسِ الذين يقومونَ بحراسةِ خطِّ السكةِ الحديدِ هذا ...

وتنتشرُ أخبارُ الثوارِ الأحرارِ في سماءِ حيفا وأرضِها ... ويجتمعُ قادةُ الجيشِ العربي الأردني في منطقةِ حيفا مع قائدهم محمد حمد الحنيطي ويتساءلون:

- «هل تسمعُ بهذا الذي يُدعى «سرور برهم»؟. إنَّهُ يقومُ بالمعجزاتِ مع هذه القلةِ من رجالهِ ... من أين لهم بالمعلوماتِ عن تحركاتِ الجيشِ البريطاني ؟... من يساعدهم في التخطيطِ لعملياتِهم الجريئةِ ؟... من يزودُهم بالسلاحِ والقنابلِ ... إنهم يثيرونَ عجبَنا وإعجابَنا» ...

ويبقى محمد حمد الحنيطي ساكتاً واجماً ... لا يجيبُ كأنه لا يفهم عمَّ يتساءلون ...

هل كان محمد حمد الحنيطي فعلاً لا يدري ماذا يفعلُ الثوارُ في حيفا؟ هل كان يتابعُ اخبارَهم كما يفعلُ الشعب ، أم كان هو وراءَ هذهِ الاخبار ؟... هل كان يخطِّطُ معهم بالسرِّ والخفاء ؟...

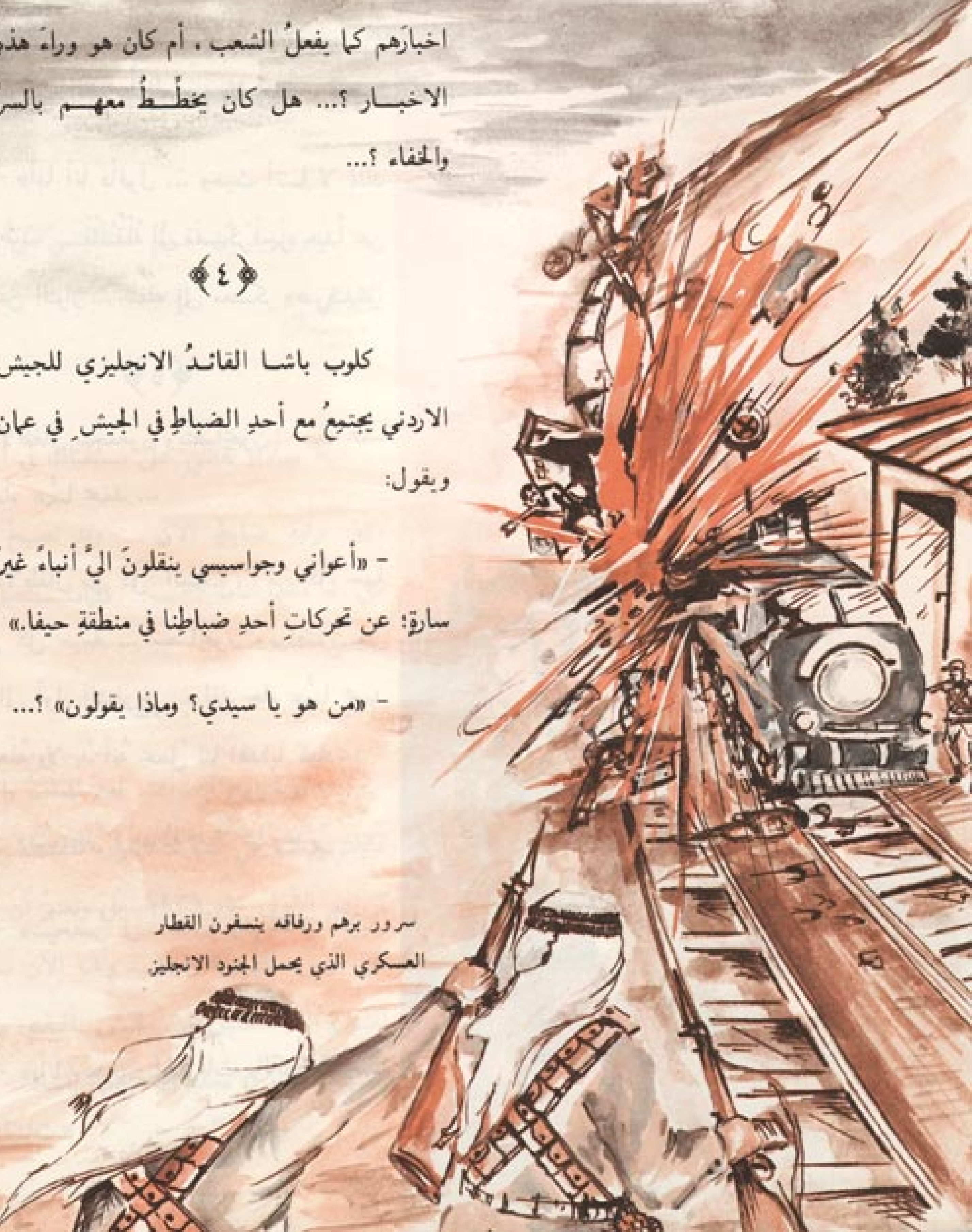

﴿٤﴾

كلوب باشا القائدُ الانجليزي للجيش الاردني يجتمعُ مع أحدِ الضباطِ في الجيشِ في عمان ويقول:

- «أعواني وجواسيسي ينقلونَ اليَّ أنباءً غيرَ سارةٍ عن تحركاتِ أحدِ ضباطِنا في منطقةِ حيفا.»

- «من هو يا سيدي؟ وماذا يقولون» ؟...

سرور برهم ورفاقه ينسفون القطار العسكري الذي يحمل الجنود الانجليز

- «انه محمد حمد الحنيطي ... يقولون إنه يساعدُ الثوارَ سراً في حيفا ... وإنهُ يتصلُ بالحاج أمين الحسيني زعيم الفلسطينيين ، ويخططُ للثوارِ مع شخصٍ فلسطيني يدعى «سرور برهم» ... فماذا تقولُ في ذلك؟»

وسكت الضابطُ العربي ولا يجيب ، فيضيفُ كلوب باشا:

- «أما أنا فأقول ... وحيث أننا لا نملك الدليل ضده ... فَلْنَنْقُلْهُ الى معسكر آخر بعيداً عن حيفا وعن الثوار ... ننقلُه إلى معسكر «صرفند».

﴿ ٥ ﴾

الأطفال يتجمعون ويتصايحون... جاء عمُّنا محمد جاء عمُّنا محمد ...

انطلقَ الاطفالُ من كلِ البيوتِ ... من كلِّ جهةٍ ... ومن كلِّ خيمة ... يتصايحون ويركضونَ من التلالِ الى أولِ الشارعِ ... لقد جاء عمُّنا محمد ليزورَ أهلَهُ ولا بدَّ أنهُ يحملُ لنا الهدايا كعادته!

- «سَيُحضرُ لي بوطاً جميلاً كما وعدني ...»

- «سَيُحضرُ لي أساورَ وغويشات أتزيَّنُ بها ...»

- «وأنا وعدني بالحلويات والكعكبان ... وغزل البنات.»

حضرَ محمد ، واحتضنَ الاطفال ، ووزَّعَ عليهم الألعابَ والملابسَ والهدايا ... ولكنَّهُ كانَ واجماً على غيرِ عادتِهِ ... وطلبَ الانفرادَ بابن عمِّه أبي راشد ...

- «يا ابن العم ... أريدُ أن أخبرَك بأمرٍ هامٍ ...»

- «وما هو يا أبا حمد ؟...»

- «أريدُ أن أقدِّمَ استقالتي من الجيشِ الاردني.»

- «ماذا؟ تقضي على مستقبلِكَ في الجيش ؟... إنَّكَ برتبةِ ضابطٍ الان ... وقد تصبحُ بتوفيقٍ من الله قائداً عاماً ... فلماذا تستقيل وتترك الجيش ؟...»

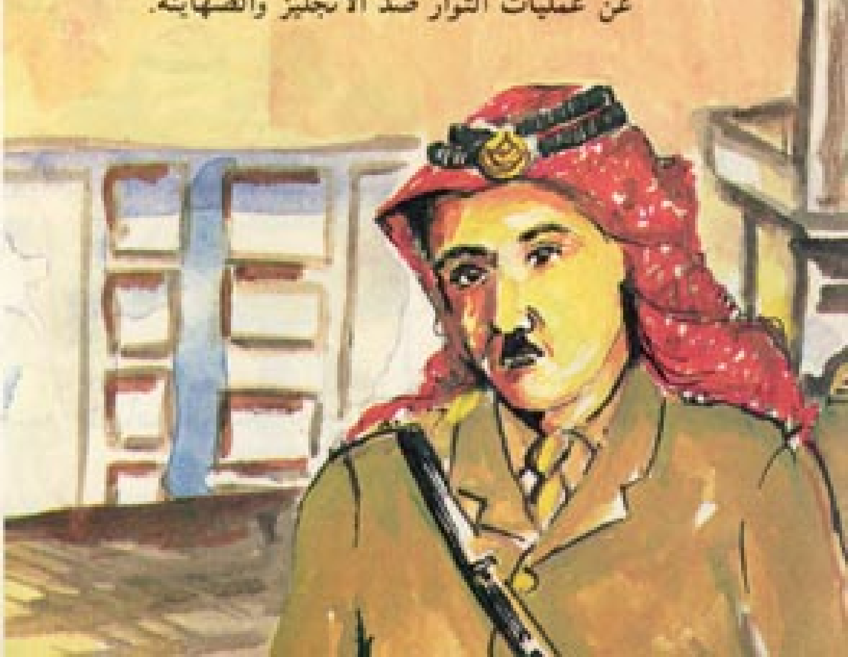

ضباط الجيش العربي يتحدثون
عن عمليات الثوار ضد الانجليز والصهاينة.

- «يا ابن العم !... لقد نشأتُ وأنا أرى قبيلتي وعشيرتي تساعدُ الثُّوارَ الفلسطينيين منذ ثورتهم الأولى عام ١٩٣٦. بل وتعتبرُ أن الدفاعَ عن أرضِ العروبةِ واجب. وأنا الآن سانضمُّ للثورةِ ، واستقيلُ من الجيشِ الذي يتحكَّمُ بحركتِهِ قائدهُ الانجليزي «كلوب باشا».

غادرَ محمد حمد الحنيطي أهلَهُ وودَّعَ زوجتَه وأولادَه وعادَ الى حيفا ، والى الثوار هناك. وعيَّنَهُ الحاج أمينَ الحسيني قائداً عاماً لمنطقةِ حيفا ... وعينَ «سرور برهم» قائداً للمنطقةِ الشرقيةِ ... وبدأ العملُ الجاد للاعداد لثورة عام ١٩٤٨.

جلسَ «محمد حمد الحنيطي» «وسرور برهم» وبعضُ الرفاقِ ، يخططون للعملِ ... بريطانيا تسحبُ قواتها من البلاد ... واليهودُ الصهاينةُ يحتلونَ بعض معسكراتها ... اليهود تحوْلُ بعض مصانِعها الى مصانعَ لصنعِ الاسلحةِ ... وأنابيبُ البترول تزوّدُ اليهود الصهاينة بالبترول ، والمنجرةُ اليهوديةُ في شارعِ الناصرة تُستعمَلُ كحصنٍ لهم لرمي السكانِ العربِ بالنارِ. وكذلك المطحنةُ اليهوديةُ تستعملُ كحصنٍ لقتلِ العربِ الابرياء ...

إذن ...!

إذن ننسِفُ أنابيبَ البترولِ ... ننسِفُ مصانِعَ الاسلحةِ. نهاجِمُ الدورياتِ العسكرية الانجليزية واليهودية ... ونزيدُ من ضرباتنا للعدوّ.

وتزدادُ الضرباتُ وتتناقصُ الذخيرةُ فما العمل ؟...

يقول «محمد حمد الحنيطي» «لسرور برهم»:

- «تذهبُ أنتَ يا سرور الى لبنان ... تجتمعُ بالقادةِ العسكريينَ وتطلبُ تزويدنا بالسلاحِ. نريدُ سلاحاً كثيراً يكفي لكلّ الثوارِ»

يسافر «سرور برهم» الى لبنان ولكنه يتأخر ، ولا يستطيعُ الاجتماعَ بالقادةِ ، فيقرِّرُ محمد حمد الحنيطي اللحاقَ بِهِ.

يتركُ محمد حيفا ويسافرُ الى عمان ليرى زوجَهُ وأولادَه ، يمكث يومين فقط ... يلاعبُ أولادَه ويشتري لهم ما يريدون ، ويقول لابنه عبدالرزاق:

- «سآخذك اليومَ يا عبدالرزاق الى الحلاقِ يقصُّ شعرك ، فلقد أصبح شعرُكَ طويلاً مثل شعر البنات.»

الأطفال يتصايحون «جاء عمنا محمد ومعه الهدايا»

وهناك ، عندَ الحلاقِ ، يسمعُ محمد راديو الاذاعةِ الاسرائيليةِ يهدِّدُ حيفا ويهدِّد محمد حمد الحنيطي:

- «قوات البالماخ وشتيرن تنذرُ حيفا ... وتنذرُ مدبِّرَ العملياتِ التخريبيةِ فيها ، محمد حمد الحنيطي ورفاقه ...

ويقول محمد في نفسه:

- «لن أتأخر يوماً آخر ... فحيفا في خطرٍ عظيم. وسأسافرُ الآن ...»

يقبِّلُ الابُ ابنَه عبدالرزاق الصغير ، ويودِّعُهُ. ولكن الابنَ لا يرضى الفراق ... ينزلُ عن كرسي الحلاقةِ ... نصف رأسِهِ محلوقُ الشعرِ ، ويلحق بأبيه باكياً صارخاً ... يريد الذهاب معه ... ولكن الأب يهدِّؤهُ ويَعِدُهُ بالعودةِ قريباً محمَّلاً بالهدايا والألعابِ. وينطلق الى سوريا ولبنان لاحضار الأسلحة للدفاع عن حيفا .

القائد محمد يودع سرور ويطلب منه الاسراع في ارسال الأسلحة للثوار.

﴿٦﴾

هناكَ بين مدينتي عكا وحيفا ... وبالقربِ من حيفا يقع دوارٌ كبيرٌ تقومُ عليه مستعمرةٌ يهوديةٌ هي موتسكين: وهناكَ وعلى هذا الدُّوارِ أقامَ اليهودُ معهداً علمياً كبيراً يضمُّ خيرةَ علماء اليهود لتطويرِ الصناعةِ، وصناعةِ الاسلحةِ بالذات ... أربعون عالماً جاءوا من أميركا وانكلترا وروسيا وألمانيا ... تركوا بلاداً ، عاشوا فيها وولدوا فيها ، وعاش فيها آباؤهم واجدادهم. كانوا في أميركا أميركيونَ يتمتعون بحقوقِ المواطـنِ الامـريكي ، وفي روسيا روسيونَ يتمتعـون بحقـوقِ المواطنِ

محمد ينطلق الى لبنان وابنه عبد الرزاق يحاول اللحاق به.

الروسي ، وفي ألمانيا ألمانٌ يتمتعونَ بحقوقِ المواطنِ الألماني ... شأنهم شأن اليهودِ الصهاينةِ جميعاً ، رفضوا الولاء لاوطانهم الاصلية ... وأرادوا أن يتجمعوا في الارض التي حافظَ أهلُها عليها ، وعاشوا فيها ، يزرعونها ويفلحونها الاف السنين ... أراد هؤلاء اليهود الصهاينة طردَ العرب أصحابَ فلسطين واحتلالَ أراضيهم ... وتكوين دولةٍ لهم.

في هذا المعهد العلمي على دوار «موتسكين» بين عكا وحيفا كانَ أربعونَ عالماً يهودياً يعملون مع عشراتٍ من الموظفين اليهود الصهاينة ، لاختراع مزيدٍ من الاسلحةِ والقنابلِ لقتلِ العربِ وطردِهم من بلادهم.

*** ** ***

وصلَ محمد حمد الحنيطي الى دمشق واجتمع هناكَ مع قادةِ الثورةِ وحدثَهم عن الوضعِ في حيفا قائلاً.

- «نحن ثمانون مجاهداً فقط ولكننا عن ثمانمائة ... الشجاعة لا تسألوا عنها ... الاخلاص ... لا تقلقوا عليه ... الاندفاع ... نقدم أرواحنا للوطن ... ولكن المطحنةَ لا ترحمُ احداً ... أنها مطحنةٌ كبيرة وحصينةٌ ، يستعمِلُها اليهود لقتلِ الناسِ في شوارِعِ الكرملِ دونَ حساب ...

والمنجرةُ: ترمي مواطنينا بالنار ، ولا نقوى على نسفِها ... نحتاج للغمٍ كبيرٍ كبير لنسف المطحنةِ والمنجرة ، لقد نصبتُ مدافع الهاون في حيفا على الاماكنِ المرتفعةِ والبيوتِ العربيةِ العاليةِ ، وأقمتُ المدافعَ والاستحكاماتِ فوقَ مستشفى الامين في حيفا، واخذنا نصبُّ القذائفَ والحممَ على الاعداءِ ... لكن المطحنة لعينة ... والمنجرةُ حصينةٌ ، ونحن بحاجةٍ لألغامٍ لنسفها» ...

﴿٧﴾

توافِقُ القيادةُ على تزويد محمد بالسلاح والموادِ المطلوبةِ ... ويأخذُها حالاً من المخازنِ في بيروت ... ويقرِّرُ السفرَ عن طريقِ ـ بيروت ... رأس الناقورة ـ عكا ثم حيفا ... سيسلك طريقَ الساحلِ اللبناني الفلسطيني رأساً ... طريقٌ مختصرةٌ لن تزيد عن اليوم الواحد! ... ولكنّها طريقٌ غير آمنة ... نقاطُ الحدودِ والحراسِ الانجليز يملأون الطرق والمراكز ...

ليتَه يسلكُ طريقَ ـ سوريا ـ الاردن ـ فلسطين ... طريقٌ طويلةٌ تستغرقُ ثلاثةَ أيامٍ ... لكنّها أكثرُ أمناً ... فالمسالكُ الجبليةُ السريةُ يعرفُها أهالي المَنطقة ويجهلها حراسُ الحدود ...

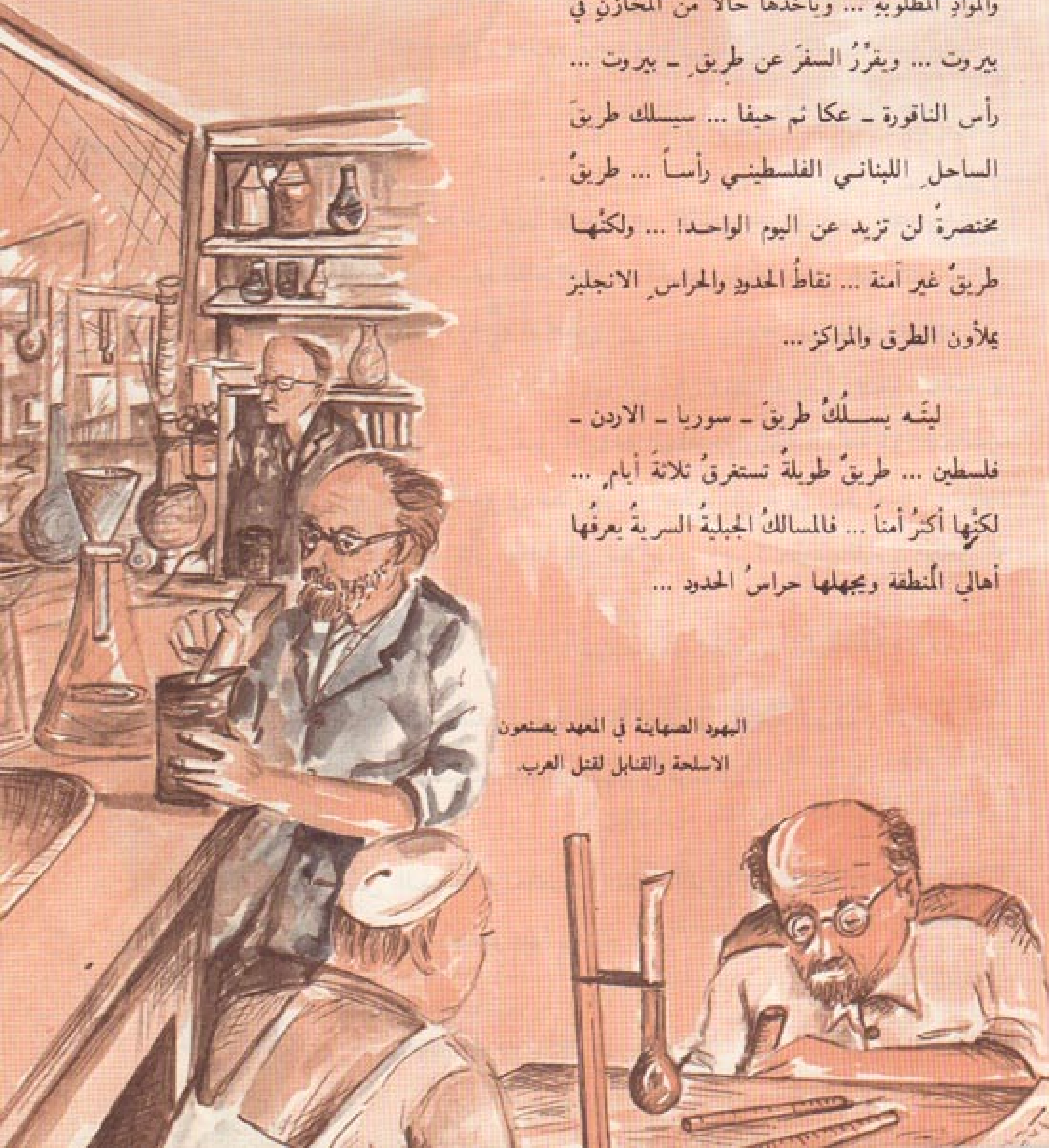

اليهود الصهاينة في المعهد يصنعون الاسلحة والقنابل لقتل العرب.

ليتَهُ يتركُ القافلةَ والسلاحَ تسافرُ دونَ أن يسافرَ معها ... إنَّ السِّلاحَ لو فُقدَ ... يسهُلُ تعويضهُ ... ولكنَّ القائدَ لو فُقِد ... فما أعظم الخسارة!

يلتقي محمد حمد الحنيطي بزميله العزيز «سرور برهم» بالعناق والفرح .: «لقد أمَّنا السلاح ... فهيا بنا» ...

وتنطلق القافلة ... سيارتان كبيرتان فيهما ما يزيدُ عن الاثنى عشرَ طناً من المتفجراتِ والاسلحةِ ... ثم سياراتُ الحرسِ ، ثم سيارةُ القائد محمد حمد الحنيطي يقودُها سائق، وفيها اثنانِ من الحرس ... وأخيراً سيارةُ سرور برهم وزوجتِهِ أم محمود.

ويسبِقُ القافلةَ قلبُ محمد ... يريدُ أن تصِلَ الاسلحةُ المجاهدين ورفاقَه الساعة قبل غد ... فكيف يقبلُ رأي سرور برهم بالبياتِ والنومِ في عكا وتهريبِ السلاح عن طريق البحر لحيفا ؟... لا ... ان هذا جبنٌ وهزيمةٌ ... ثم كيفَ نلقى رفاقنا بغيرِ سلاح ؟... انهم كالعطاش للماء ... ونحنُ سنوصِلُهُ لهم.

ووصلَ الخبرُ لليهود ... من عدةِ مصادر ... أولها ضابطٌ انجليزيٌ وزوجتُه اليهودية ، علما بالخبر في رأس الناقورةِ على حدودِ لبنان -فلسطين فاتصلا باليهودِ في موتسكين ...

وثانيها: أجهزةُ التجسُّسِ اليهوديةِ على هاتفِ مقرِّ القيادةِ العربيةِ في حيفا ، والتقاطها مكالمة بين محمد حمد الحنيطي ومقرِّ القيادة ، يُعلِمهم فيها بوصُولهِ.

وثالثها: عيونُ وجواسيسُ اليهودِ على طولِ الطريق.

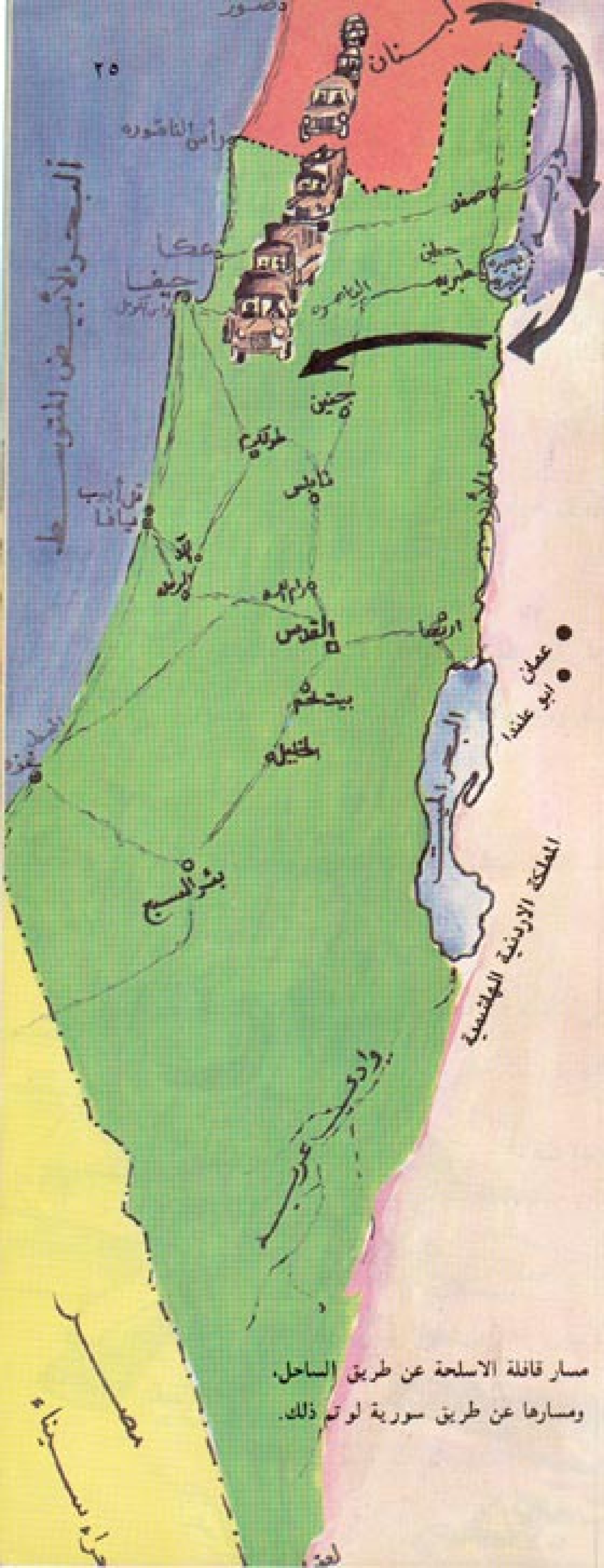

مسار قافلة الاسلحة عن طريق الساحل، ومسارها عن طريق سورية لو تم ذلك.

﴿٨﴾

عيونُ العلماءِ اليهودِ في معهد موتسكين العلمي تتفحّصُ الموادَ العلميةَ من خلالِ المجهرِ... والاجهزةُ العلميةُ تفصلُ وترسّبُ وتحلّلُ الاملاحَ والحوامضَ والقلويات ... والمختبراتُ وأنابيبُ الاختبارِ تمتلىءُ بالموادِ تحتَ الاختبار. والحرّاسُ على الأبوابِ يمنعونِ أحداً منَ الاقتراب من المعملِ للمحافظة على سريتِهِ وأمنِهِ.

وتقتربُ قافلة محمد حمد وسرور برهم من موتسكين ، وقبل سبعة كيلومترات من دوار موتسكين كانت تقف دراجةٌ ناريةٌ عليها سائقها ينتظر أمراً ... فما ان رأى السائقُ القافلةَ ، حتى عادَ أدراجَهُ الى موتسكين ...

وصلتِ القافلةُ الى موتسكين واذا بدبابةٍ كبيرةٍ تقفُ في عرضِ الطريق ... واذا بالجنودِ الاعداء يظهرون من كلِّ مكان ... والرصاصُ يتساقطُ من كل ناحية ... فما كان من سائقِ إحدى السيارتينِ الكبيرتينِ المملوءة بالسلاحِ إلا أن يستديرَ الى الخلف وينطلق بسيارته الى عكا من نفس الطريق ، وتنجو السيارة بما فيها ومن فيها.

وتبعتهُ سيارةٌ صغيرةٌ أخرى كانت في المؤخرة أيضاً ونجت ومن فيها ... وبعدها كانت سيارة سرور برهم ... فهل يتراجع هذا البطل ؟... إنه قد رأى قائدَه ينزلُ من سيارتـهِ ويستلقي على الارضِ استعداداً للقتال ، فكيف يهربُ هو؟ قال لزوجتِه والسائق :

- «اسمعا ... عودا الان حالاً ... أمّنتُكَ يا اخي على زوجي فانجُ بزوجتي وبنفسك ...

وأنتِ يا أم محمود ... اشهدي لي ... اشهدي لي أمام الجميع ...»

أعطى البطلُ «سرور برهم» زوجتَهُ طربوشَهُ وجاكيته ، واشارَ عليها بالعودةِ ، ونزلَ هو للأرضِ ومعَهُ أسلحتُه.

محمد الجربع وسرور يتقدم نحوه.

نزلَ سرور برهم يزحَفُ كالحيةِ الرقطاء ، الى أن وصلَ الى مكان قائِده محمد حمد وشاهدَه والدمُ ينزف منه ... نظرَ القائدُ حولَه فلم يشاهدْ ما يسرُّ بالَه ... قواهُ وقد ضعُفت ... رجالُه وقد استشهدَ اكثرُهم ... نظرَ الى سيارةِ الاسلحةِ فازدادَ حزْنهُ ...

يستولونَ عليها ؟... يأخذونَ الاسلحةَ التي طالما تمنيتُ الحصولَ عليها لرجالي ؟... يأخذونها ويقتلونَ بها رفاقي المجاهدين ، والابرياء من حيفا ؟...

التفتَ الى زميلِهِ سرور برهم ... ثم عادَ وحدَّقَ في سيارةِ السلاح ... وحانت من سرور برهم نظرةُ الى قائِدهِ وهو يحدِّقُ بسيارةِ السِّلاح ...

وتفاهَمَ الاثنانِ بلغةِ الثورةِ وحبِّ الارضِ والوطن ... حملَ محمد حمد الحنيطي قنبلتَهُ من وسطه ... رفَعَ صمامَ الأمان ... ورفع «سرور برهم» بندقيَّته ووجهها الاتجاه نفسه ... وأمرَ القائدُ وأطلقَ الاثنانِ قنبلةً ورصاصاً على السيارة ...

الاجهزةُ العلميةُ تحطمت ... أنابيبُ الاختبارِ تساقطَت، علماءُ بحوثِ السِّلاحِ والقنابلِ تناثروا وتمزقوا، الجدارنُ انهالت ، الموادُ المتفجرةُ تفجَّرت ...

وأما الجنودُ اليهودُ.. أما سياراتُهم ودباباتهم التي كانت في المعركةِ ... وأما عشراتُ اليهودِ الذينَ كانوا قد تجمَّعوا من المستعمرة على أملِ السرقةِ والنهبِ ، أما عشراتُ البيوتِ القريبةِ مِن الدوار ... فلقد قُضِي عليها كلُّها ...

كانت معركةُ غيرَ متكافئةِ ، ولكن النتيجةَ الآن متكافئةٌ تماماً بل هي رائعة ...

شخصٌ واحدٌ فقط نجا بأعجوبةٍ ، هو سائقُ سيارةِ محمد حمد القائد واسمه «ابو طوق» ... وهل تعرفون كيف ؟... كان هذا المناضلُ مستلقياً على الارضِ يدافعُ كبقيةِ المناضلين ، واذا بضغط الهواءِ الشديدِ الناجمِ عن الانفجار ، يرفعه مئاتُ الامتارِ عن موقعه ... ويرميه فوقَ احدى عربات القطارِ المسافرِ الى عكا. وبهذا الشكل العجيب تمت نجاته ، وفقد احدى ساقيهِ فقط ...

هزَّ الانفجارُ القويُ مدينتي عكا وحيفا معاً وهزَّ افئدةَ المناضلين هزاً عنيفاً وخرجَ الناسُ يستطلعونَ الخبر وقد عرفوهُ بحسِّهم ... وجاءت القواتُ البريطانيةُ وهيئةُ الصليبِ الاحمرِ لتحمل الابطال الى أهاليهم ...

كان هذا يوم الأربعاء الموافق ١٩٤٨/٣/١٧ في الساعة الثالثة من بعدِ الظهرِ.

﴿٩﴾

في قرية «ابو علندا» قربَ عمانٍ فتحَ ابو راشدٍ الحنيطي المذياعَ واداره ليسمعَ اذاعةَ فلسطين، علَّهُ يسمعُ احاديثَ سارةٍ عن الوضعِ في فلسطين واذا به يسمع ما يلي:

وتفاهم الاثنان بلغة الثورة وحب الأرض والوطن ورميا القنبلة والرصاص على شاحنة المتفجرات.

- هنا اذاعةُ فلسطين:

بيانٌ من اللجنةِ القوميةِ بحيفا.

انا لله وإنا اليه راجعون ...

في ذمةِ الله والوطن ... هذا الدمُ الزكيُّ الذي يُراق ... وفي سبيلِ القرارِ الظالمِ بتقسيمِ فلسطين هذه الارواحُ البريئةُ وهذا الشبابُ الغض ...

مرحباً بالموتِ ... مرحباً بالشهادة ... مرحباً بلقاءِ الله ... في سبيلكِ يا فلسطينَ العزيزة ... في سبيلكَ يا ثالثَ الحرمينِ الشريفين ... في سبيلكَ يا مهدَ السيد المسيح ...

هذه قافلةُ من قوافلِ شهدائِنا الابرارِ تلقى ربَّها ، عاملةُ مجاهدةً ، ومع أن اللجنةَ القوميةَ بحيفا تستعذبُ الموتَ ، وتسترخِصُ في سبيلِ الوطنِ التضحيات، فإنه لا يسعُها الا أن تنعى الى الامةِ الكريمةِ زمرة من خيرةِ ابنائِها ومن أعزِّ جنودِها هم:

انفجار الشاحنة وتدمير المعهد.

١- قائدُ حاميةِ حيفا الباسل ، محمد بك الحمد الحنيطي ...

وإخوانُه المجاهدون الابرار ...

٢- سرور برهم.

٣- فخري عبدالواحد البرد

٤- عمر الخطيب.

٥- احمد خضر موسى.

٦- احمد وجيه رجال

٧- يوسف الطويل

٨- علي كسار

٩- عطاالله سلامة

١٠- حسن سلامة

١١- محمد ناظم طرطوس

١٢- محمد مصطفى خليل

١٣- علي سجاع

١٤- أرمني سائق مجهول الهوية.

أقفلَ ابو راشدٍ المذياع وجلسَ لا يدري ماذا يقول ولا ماذا يفعل ... أذهلتهُ المفاجأةُ فلم يعد يدري بماذا يُحسُّ ...؟ كيف سيتصرَّفُ ...؟ من سيخبِر ... هل يفرحُ باستشهادِ شهيد ، أم يبكي

ملاحظة:- سقطت حيفا بأيدي الصهاينة الغزاة في ١٩٤٨/٤/٢٢م.

على شبابهِ واولادِه ... ثلاثُ بنـات وولـد ...
والزوجةُ حاملٌ قد تضعُ وليدَها الليلةَ او غداً ...
أيُّ أمرٍ جللٍ هذا الذي سَمِع ... ماذا يفعلُ وماذا
يقول ...؟؟

علمٌ اردني كبيرٌ يلفُ جسدَ محمد بك الحمد
الحنيطي وثلاثة عشر علماً فلسطينياً تلفُ الشهداءَ
الآخرين ، واحتفالٌ عسكريٌ كبيرٌ يقام في حيفا
بعد صلاةِ الظهـرِ من يومِ الخميسِ ، ويُدفَـنُ
الفلسطينيون في حيفا ... وتحملُ سيارةٌ كبيرةٌ محمد
حمد الحنيطي وتسيرُ صوبَ الشرق.

الاعلام الفلسطينية والعلم الأردني تلف الشهداء.

سياراتٌ تتجهُ من الغربِ صوبَ الشرق صوب نهر الاردن ...

وسياراتٌ تتجه من الشرقِ صوبَ الغربِ صوب نهر الاردن.

الاولى تحملُ رجالاً فلسطينيين يودعون أعزَّ من عرفوا.

والاخرى تحملُ رجالاً اردنيين يستقبلون أعزَّ أولادِهم.

قال الطرفانِ معاً:

- «إنها أرضنا جميعاً وسندافع عنها جميعاً»

وهناك في عمان تولد «جهاد» ... تولد ابنةُ الشهيدِ في اليومِ الذي يصل فيه الشهيد فيسمونها «جهاد».

وهناك في عمان، تصل وفودُ الدولِ العربيةِ الرسميةِ والشعبيةِ ، وتُرشُّ العطورَ ، وتُنثرُ الورود ، ويُطلقُ الرصاص ...

وهناك في عمان ... وفي «أبو علندا» ترتفعُ الزغاريدُ تملأُ السماءَ بوصولِ البطل ...

الفلسطينيون يسلمون البطل الى أهله الأردنيين من على جسر نهر الأردن

أسئلة

١- هل كان الأتراك يحبون العرب ؟.

وهل كانوا يعاملونهم معاملة حسنة ؟ لماذا؟.

٢- ما هو الطريق المناسب الذي اقتنع به محمد لتحرير بلاده من الاستعمار؟.

وما هو برأيك الطريق المناسب لتحرير فلسطين من الصهاينة؟.

٣- كيف استطاع سرور برهم وأصحابه نسف القطار الذي كان يحمل الجنود والأسلحة الانجلزية؟.

٤- هل كان محمد حمد الحنيطي على اتصال مع سرور برهم وأصحابه قبل أن ينضمّ اليهم رسمياً؟.

٥- مع التحاق محمد بالثورة ، ازدادت الضربات والمعارك ضد الانجليزوالصهاينة ، وبذلك نقصت الأسلحة فماذا فعل القائد محمد؟.

٦- من أي البلاد في العالم كان المهاجرون الصهاينة يحضرون لاحتلال فلسطين؟ سم أربع دول.

٧- هل كان هاتف القيادة العربية في حيفا مراقب من قبل اليهود؟.

٨- هل كان من الخطأ أن يتصل القائد محمد بقيادته في حيفا بالهاتف يعلمهم بقرب وصوله؟ لماذا؟

٩- صف نتيجة انفجار سيارة الشحن المحملة بالسلاح ومدى تدميرها للمعهد والجنود والاسرائيليين.

١٠- صف مشهد تسليم البطل لأهله عبر نهر الأردن.

يطلب الكتاب: من المؤلفة: ص. ب ٤٤٦
هاتف ٤٤٦٣٠

ومن رابطة الكتاب الاردنيين/عمان
ومن كافة المكتبات

منشورات رابطة الكتاب الأردنيين

هـذه السلسلة

سلسلة حكايات بطولية، تحكي للاطفال والفتيان العرب ، نضال ابطال عرب وفلسطينيين حاربوا من أجل فلسطين.

وهي قصص وأحداثُ واقعية ، وتاريخٌ صادق يُظهر عدوانية الصهيونية في استيلائها على أرضنا ،وعملها على تغيير تاريخنا من هذه البقعة.

وهي تناسبُ الأطفال العرب في كل الأعمار ، حيثُ يجدُ الصغير متعةً كبيرة في النظر الى رسوماتها الملونة المشوّقة ... ويجدُ الكبيرُ متعةً كبيرة في التعرف على أحداث القصة وأبطالها.

الكتاب الحائز على الجائزة التجشيعية في مسابقة أحسن كتاب « للطفل العربي » والتي نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لعام ١٩٨١ / ١٩٨٢ م .

صدر من هـذه السلسلة

١- في أحراج يعبد - الشيخ عز الدين القسام.

٢- سر القنابل الموقوته - ابو ابراهيم الكبير.

الكتاب القادم :

٤- المناضلة حياة البلبيسي في دير ياسين.

٥- البطل الضاحك حسن سلامة.